

# سيروان باران ساحر الرسم الذي يلهو بممتلكات يديه | فاروق يوسف | صحيفة العرب

يتمتع أن يُقال إنه يرسم مثل فائق حسن أو أفضل منه، غير أنه يدرك أن ظهور فائق حسن جديد لن يحقق رغبته في أن يكون ابن عصره.

لذلك صار يعصف بيديه كما لو أنهما ليستا له بعد أن اكتشف أنه بدد موهبته في مناطق لا يستحق البقاء فيها الكثير من العناء.

**سيروان باران** هو ابن حرفة الرسم المحلق بخياله بعيدا عنها. كادت تلك الحرفة أن تضيعه حين أوهمته بأن يكون خادمها المطيع. وهو ما فعله عراقيون من قبله.

قبل سنوات حين التقيته ببيروت تأكدت من أنه كان ابن الهواء الماكر الذي يتغير ولم يكن صنيعه الوصفة الجاهزة التي أحاطت به وقدمته باعتباره عارفا بأسرار الوصفات السحرية التي ينتظر نتائجها رجال المال.

باران يصنع ما يراه ملائما لموهبته التي يعرف حدودها جيدا. هو يعرف أن موهبته تلك تسبق كل ما فيه. وقد لا يكون كل شيء حقيقيا. فقد لا تكون موهبته في الرسم قد تأثرت بموهبته في العلاقات العامة.

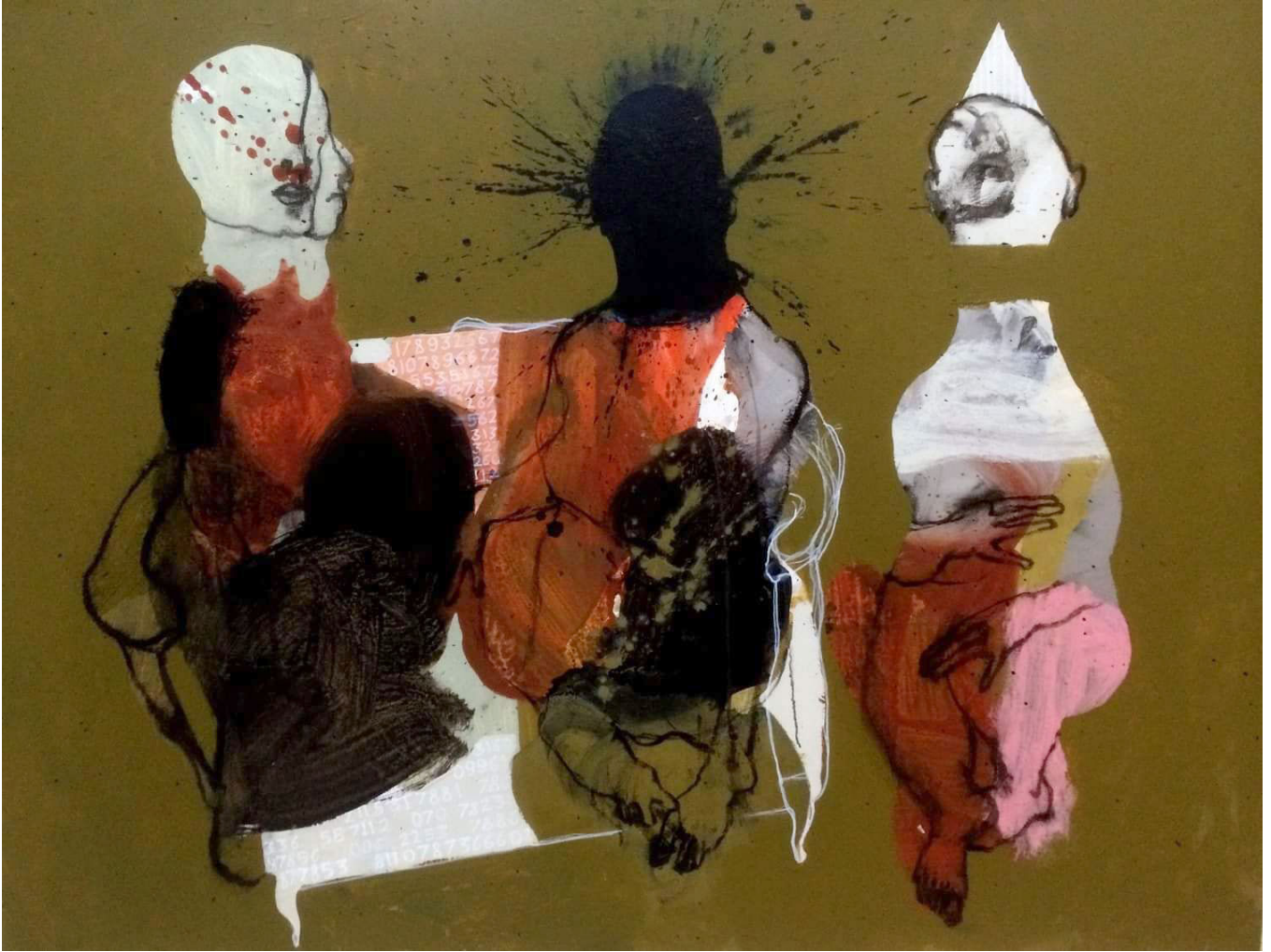
في مرحلة مبكرة من حياته كان رساما مريحا. كانت صورته تسبب السعادة للكثير من السيدات ممن اعتبرن تلك الصور جزءا من الخيال المنزلي بالرغم من أن الرسام لم يقصد القيام بذلك.

وبالرغم من أن تلك الصفة لم تكن ضارة فإن سيروان في معرضه الأخير بقاعة "أجيال" البيروتية اختار أن يستجيب لقوة الرسم، بغض النظر عما يعنيه الموضوع. لقد رسم كلابا. قبلها كان قد رسم جثثا.

لعبة قد يهبها البعض طابعا رمزيا، غير أنها بالنسبة للرسام مغامرة تتفوق من خلالها الأشكال على موضوعاتها.

ولد باران عارف في بغداد عام 1968. درس الرسم في كلية الفنون الجميلة ببابل كما درسه في ما بعد فيها لمدة سبع سنوات. أقام معرضه الشخصي الأول عام 1991 بعد وقت قصير من تخرجه في قاعة الرواق ببغداد. ولم يكن باب تلك القاعة يومها مفتوحا إلا للفنانين المكرسين. أما أن يقيم فنان شاب معرضه الشخصي الأول فيها فإن في ذلك الكثير من الإشارات التي تؤكد تفوقه.

## تعبير في أرض خاوية



رسوم باران تنتمي إلى التعبيرية الجديدة

يمكنني القول إن باران هو أفضل أبناء جيله الذي لم يكن محظوظا بسبب ظهوره مباشرة بعد حرب تحرير الكويت التي تركت العراق بلدا مهشما. غير أن عين الرسام لم تكن مصوبة نحو جيله بل أنه حاول أن لا يتعب نفسه كثيرا في الالتفات إلى الوراثة كثيرا، وكان مقتنعا بلا جدوى ما يقال عن الهوية المحلية. لذلك فقد اختار أن يكون وفيما للرسامين العالميين الذين أعجب بتجاربيهم وتأثر بأعمالهم، من غير أن يلزم نفسه بشروط التماهي مع حداثة المحترف الفني العراقي الذي بدا وقت ظهور الرسام كما لو أنه انتهى إلى أفق مسدود.

وقد لا أكون مبالغا حين أقول إن ظهور ذلك الرسام بكل ما انطوت عليه تجربته عبر أكثر من ربع قرن من الزمن قد مثل فرصة للمحترف الفني العراقي لكي يفتح من خلاله على تجارب رسامين حداثيين لم يتعرف عليهم من قبل بسبب انغلاقه على تجارب رسامين بعينهم، كما هو الحال مع بيكاسو من خلال جواد سليم وتابيس من خلال شاكر حسن آل سعيد وزاووكي من خلال رافع الناصري وراوشنبرغ من خلال محمد مهر الدين.

ما فعله باران كان جذريا في محاولة إنعاش خيال الرسم الحديث في العراق من خلال عقد صلات جوهريّة مع رسامين كبار من نوع غويا وايغون شيلا وسوتين ولوسيان فرويد وفرانسيس بيكون.

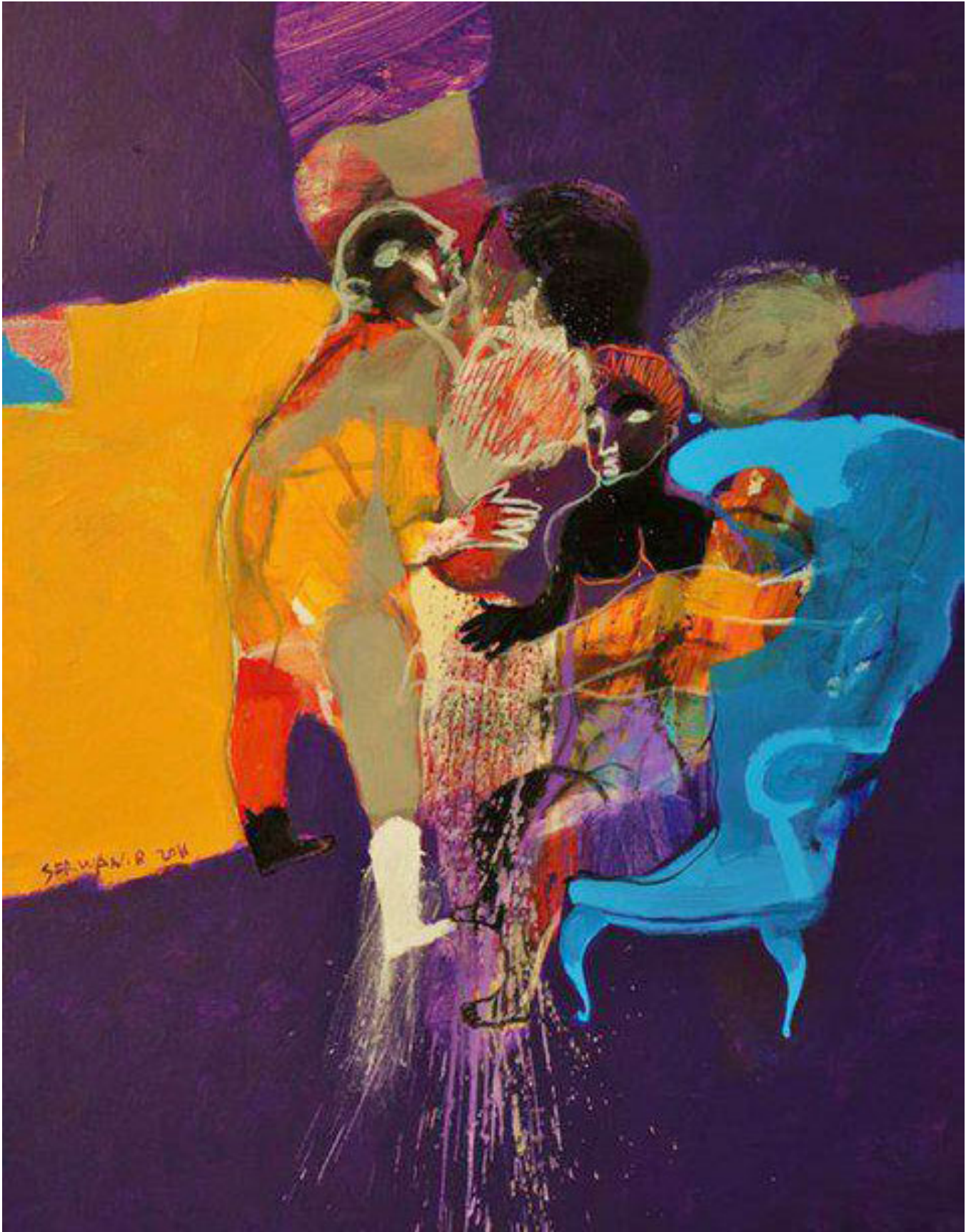
أعاد باران اكتشاف الجسد البشري بطريقة سمحت له بتحليله وتفكيكه وإعادة تركيبه بما ينسجم مع الرغبة في مساءلته وجوديا. ولأن باران لا يرغب في وصف الجسد فإنه سعى إلى إعادة تعريفه. مهمة شاقة غير أن رساما بحجم باران كان دائما مؤهلا للتصدي لها وخوض غمار مغامرتها.

تنتمي رسوم باران إلى التعبيرية الجديدة، غير أن الرسام الذي لا يكف عن الثناء على مرجعياته الجمالية قد نجح في أن يمد تعبيريته بسبل نجاة ليست متوقعة.

“قبلة إلى كلب” كان عنوان معرضه عام 2010. وهو عنوان فيه من الإيحاء الشيء الكثير. كانت الجملة الأخيرة من رواية فرانتيس كافكا المحاكمة: “مثل كلب”. وكما أرى فإن مشهد جثة الحيوان المعلق لدى سوتين كان أساسيا في السخرية القاسية من العالم الواقعي. بل وحتى من الرغبة في استلهاهم قواه التعبيرية.

رأيت قبل سنوات رسوما لسيروان باران وظننتها للوهلة الأولى تجريدية. غير أنها لم تكن في حقيقتها كذلك. فالرسام الذي بهرته تجارب أسلافه في تفكيك الجسد البشري وجد متعة في اللقطات القريبة التي تشبه الخلاصات التي تنتهي إليها العين الخبيرة. وهو ما حاول الرسام في ما بعد أن يتخلص منه بذكاء. فسيروان لا يفكر في ما يراه تجريديا. الجانب النظري في تجربته يكاد يكون حكرا على عاطفته. لقد هرب إلى عالم الخليفة لكي يكون مستقلا بإنسانيته. إنه رهان صعب غير أن الرسام كان وفيًا لتجربته. هناك وقائع من حولنا تستحق الوصف، من غير أن تكون مؤكدة على صعيد ما تتركه من أثر. في آخر معارضه كانت الكلاب تطارد ظلالها كما لو أن لا أثر للبشر على الأرض.

## الرسام الوحيد في سعادته



باران نجح في أن يمد تعبيريته بسبل نجاة ليست متوقعة

سيكون علينا أن نحتفي بسيروان باران في المستقبل باعتباره رساما ثوريا. كان عراقيا بعمق وهو ابن عصره. لقد رسم بأسلوب رمزي ما كان يجري في بلاده وضعا نصب عينيه تجربة الإسباني غويا حين قرر هجاء العائلة

المالكة. باران من خلال رسومه يهجو طبقة سياسية قُدر لها أن تلعب بمصير شعب، لا يزال موقفه غامضا .

لقد اختار باران أن يكون رساما أولا وهو ما وضعه في مواجهة سؤال من نوع “ما معنى أن يكون المرء رساما معاصرا؟” بالنسبة له فإن التزيينية التي انتهى إليها الفن المحلي لم تعد مقنعة كما أن حداثة الفن في العراق صارت بمثابة أثر يمكن نسيانه في ظل تحولات الفن في العالم. لذلك فقد اختار أن يمضي وحيدا. كان كذلك دائما.

“عراقي وحيد” يمكن أن نصف سيروان باران. فهو لا يشبهه أحدا من العراقيين ولا يشبهه منهم أحد. بالنسبة له فإن سعادة أن يكون رساما هي الوصفة الحقيقية لحياة يستحقها. غير أن رساما وحيدا مثله يمكن أن يشكل وجوده علاجا لأمراض الرسم الحديث في العراق.

## الساحر ومخلوقاته

أقام باران حوالي عشرين معرضا. معظمها خارج وطنه. وهو ما ينسجم مع موقعه على خارطة الفن العراقي الحديث. فهو ليس ابنا لأحد من الرسامين العراقيين الذين سبقوه كما أنه ليست هناك من وشائج قريى تربطه بأبناء جيله من الرسامين الذين صار البعض منهم يستنسخ تجارب البعض الآخر، مما أدى إلى أن يكون المشهد الفني في العراق مضجرا إلى درجة لا توصف.

في ذلك الإطار تمثل تجربة سيروان باران حلا، من خلاله ينجو الرسم الحديث في العراق من شمولية الحكم القاسي بتخلفه وفقره وافتقاره إلى روح المغامرة. هناك على الأقل رسام وهبه الرسم القدرة على السخرية التي يطعن بها الألم من جهات عديدة، هو هذا الساحر الذي ألحق مخلوقات صامته برعيته المتخيلة.

سيروان باران هو ابن حرفه الرسم المحلق بخياله بعيدا عنها، كادت تلك الحرفة أن تضيعه حين أوهمته بأن يكون خادمها المطيع وهو ما فعله عراقيون من قبل

الأحد 2018/07/08